العدد 37

مجلة كليّة الدعوة الإسلامية

مَجَلَّةٌ إسْلَامِيَّةٌ - ثَقَافِيَّةٌ -جَامِعِةٌ- مُحَكَّمَةٌ
تصدر سنويًا عن كلية الدعوة الإسلامية

العدد
37
1445هـ 2023م

- دلالة التصريف أولى من دلالة التكرار في توجيه الآيات.
- لفظ الفرح في القرآن الكريم دلالاته وأسراره البلاغية.
- لباس المرأة المسلمة وضوابطه في الشريعة الإسلامية.
- الضوابط القانونية وأثرها في الالتزام باللباس الشرعي.
- ظاهرة عزوف الشباب عن ارتداء اللباس الشرعي.
- البعد المقاصدي للباس في الفقه المالكي.

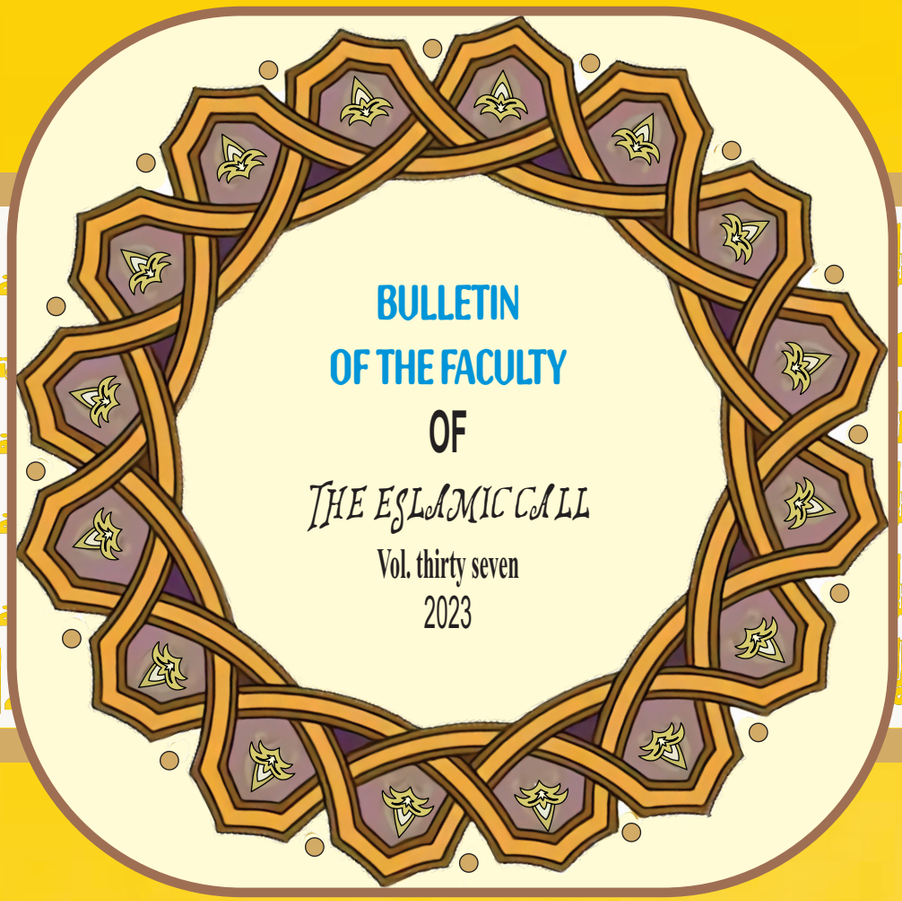

1445 هجرية الموافق 2023 ميلادية

مجلة كليّة الدعوة الإسلامية

مجلة كليّة الدعوة الإسلامية

BULLETIN
OF THE FACULTY
OF
THE ESLAMIC CALL

Vol. thirty seven
2023

دلالة التصريف أولى من دلالة التكرار في توجيه الآيات الكريمة

أ.د. عبدالله محمد النقراط
قسم الدراسات الإسلامية / كلية الآداب
جامعة طرابلس

ملخص البحث :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد

فقد دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع أمر الله – جل وعلا- بالنظر والتأمل في تصريف آياته الكريمة، وفق ما سيأتي بيانه في البحث، ولما رأيته من استعمال خاطئ لمصطلحات لا تليق بالقرآن الكريم وعظمته، مثل: التكرار ، والترداد، وتوجيه الآيات الكريمة على ضوئها، والاضطراب في ذلك .

إن موضوع التصريف القرآني من الموضوعات المهمة التي تحتاج إلى البحث والدراسة؛ لمعرفة أسرار القرآن الكريم، ودلائل إعجازه وكنوز عظمته، وتأتي أهميته انطلاقا من الآيات الدالة على هذا المصطلح القرآني، واقتداء بها.

ويهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- الدعوة إلى دراسة مصطلح التصريف القرآني، ونشره بين طلبة العلم.

2- التنبيه إلى هذا المصطلح اللائق بكتاب الله – عزوجل- الذي يجب أن توجه الآيات الكريمة من خلاله.

3- بيان مزية هذا المصطلح القرآني على غيره من المصطلحات الأخرى التي نافسته في الاستعمال.

4- بيان الاستعمال الخاطئ لمصطلح التكرار، والدلائل الدالة على التصريف القرآني الذي ارتضاه الله – تعالى – لو صف هذا الوجه المعجز من كتابه.

5- تنزيه القرآن عن المطاعن، والدفاع عنه، وردّ شبهات الطاعنين في بيانه.

إن موضوع التصريف القرآني موضوع بكر محتاج إلى دراسات كثيرة في أساليبه، ومقاصده، ودلالاته.

وتأسيسًا على ما سبق فإن هذه الدراسة تعدُّ استكمالا لدراساتي السابقة، في موضوع – كما أشرت آنفًا- جديد، جدير بالدراسة، لبيان دلالات التصريف القرآني.

Praise be to Allah، Lord of the worlds، and prayers and peace be upon the most honorable of the prophets and messengers، our Master Mohammed and upon his family and companions altogether.

It prompted me to write on this topic Allah's command - to look and meditate on the conjugation of His noble verses. According to what will be explained in the research، and what I saw of the wrong use of terms that are not appropriate for the Holy Qur’an and its greatness. Such as repetition and hesitation، directing the noble verses with them، and turmoil in them.

The issue of Quranic inflection is one of the important topics that need research and study. To know the secrets of the Holy

Qur'an، the evidence of its miraculousness and the treasures of its greatness.

This research aims to achieve the following objectives:

1- The call to study the term Quranic inflection، and to spread it among the students of knowledge.

2- To draw attention to this appropriate term in the book of Allah - the Almighty - through which the noble verses must be directed.

3- Preferring this Quranic term over other terms that competed with it in use.

4- Explanation of the wrong use of the term repetition، and the indications of the Qur'anic inflection that Allah Almighty accepted to describe this miraculous aspect of His book.

5- Clearing the Qur'an of slanderers and defending it، and refuting the doubts of those who challenge it in its statement.

The subject of Quranic inflection is a new subject that needs many studies in its methods، purposes، and implications.

Therefore، this study is considered a continuation of my previous studies، and it is a new subject، worthy of study، in order to clarify the connotations of the Qur'anic inflection.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد ،

فإنّ أسرار القرآن الكريم كثيرة لا يستطيع أحد حصرها مهما حاول وأفرغ جهده فيه ، وقد كانت هذه الأسرار- ولاتزال - مثار الإعجاب ومصدره من عصر النزول إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد بذل علماؤنا جهوداً قيمة للكشف عن أسرار التّنزيل ومعرفة تشريعه وأحكامه ، والكشف أيضاً عن مواطن جماله ، وبلاغته وبيان إعجازه ، والدفاع عنه، والرد على الملحدين والمشككين الذين طعنوا في بيانه وإعجازه ، وأنَّى لهم ذلك ، ولذا اخترت الكتابة في موضوع: **دلالة التصريف أولى من دلالة التكرار في توجيه الآيات الكريمة** .

وقد دفعني إلى الكتابة فيه أمر الله - عز وجل - بالنظر والتأمل في تصريف آياته الكريمة، فقال تبارك وتعالـــى:﴿ **ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ**﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ **ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ**﴾ [2] ، هذا فضلًا عما رأيته من استعمال خاطئ لمصطلحات لا تليق بالقرآن الكريم وعظمته، وأعني بذلك التكرار، والترداد، وتوجيه الآيات الكريمة على ضوئها ، والاضطراب في ذلك.

إنّ موضوع التصريف القرآني من الموضوعات المهمة التي تحتاج إلى البحث والدراسة في كثير من جوانبه ؛ لمعرفة أسرار القرآن الكريم ، ودلائل إعجازه ، وكنوز عظمته ، وتأتي أهميته انطلاقاً من الآيات الدالة على هذا المصطلح القرآني ، واقتداءً بها .

ويهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية :

1. الدعوة إلى دراسة مصطلح التصريف القرآني ، ونشره بين طلبة العلم .

(1) سورة الأنعام من الآية 46.

(2) سورة الأنعام من الآية 65.

2. التنبيه إلى هذا المصطلح اللائق بكتاب الله - عزّ وجلّ- الذي يجب أن توجه الآيات الكريمة من خلاله .
3. بيان مزية هذا المصطلح القرآني على غيره من المصطلحات الأخرى التي نافسته في الاستعمال .
4. بيان الاستعمال الخاطئ لمصطلح التكرار ، والدلائل الدالة على التصريف القرآني الذي ارتضاه الله - تعالى - لوصف هذا الوجه المعجز من كتابه .
5. تنزيه القرآن عن المطاعن ، والدفاع عنه ، وبيان إعجازه وأسراره ، ورد شبهات الطاعنين في بيانه.

إن هذا المصطلح القرآني قليل الاستعمال في الدراسات القرآنية والبلاغية قديماً وحديثاً إلا ما ورد من إشارات مقتضبة جاءت في ثنايا بعض المؤلفات، وما قدمته من كتابين الأول بعنوان: « بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم المقاصد الكبرى» [1] ، تناولت في الباب الأول منه التصريف في بناء السور والآيات ، وعقدت الباب الثاني لتصريف القول في آيات العقيدة ، وأفردت الباب الثالث لتصريف القول في آيات الموعظة .

أما الكتاب الثاني فوسمته : «من أسرار القرآن الكريم تصريف أساليبه» [2] ، وجعلته في ثلاثة فصول، عقدت الفصل الأول لتصريف صور المعاني في القرآن الكريم ومقاصدها ، وخصصت الثاني لتصريف الصور البيانية في القرآن الكريم ومقاصدها، وجعلت الفصل الثالث لتصريف الصور البديعية في القرآن الكريم ومقاصدها .

وقد اقتبس الأستاذ الدكتور امحمد محمد صافي المستغانمي من كتابي بلاغة تصريف القول في القرآن موضوعاً بعنوان: تصريف القول في القصص القرآني

(1) مطبوع بدار قتيبة (دمشق- سوريا، ط: الأولى، 1423هـ-2002م).

(2) طبعته الهيأة العامة للأوقاف وشؤون الزكاة سابقا،(ط: الأولى 2008م).

دراسة بلاغية لقصة موسى -عليه السلام[1]- وكان أميناً في ذلك جزاه الله خيراً ؛ إذ أشار إليه في الدراسات السابقة ، فقال: « أما الدراسة الأولى فهي ألصق الدراسات برسالتي من حيث العنوان ، وهي للدكتور عبد الله محمد النقراط بعنوان : بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم ، والكتاب عبارة عن دراسة مستفيضة في علم التفسير ، عُني فيها صاحبها بدراسة تصريف القول القرآني في شتى المضامين القرآنية على وجه التعريف وضرب الأمثلة ، مثل : تصريف القول في إثبات التوحيد، وتصريف القول في البعث والجزاء ، وفي النبوّة والرسالة ، وتصريف القول في الأمثال ، ثم تحدث عن تصريف القول في القصص القرآني بشكل عام مع ضرب أمثلة في قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم .

وهي رسالة في المضامين القرآنية والمحتويات ، حاول الباحث أن يبيّن فيها كيف صرف الله - سبحانه- القول بشتى الأساليب وطرائق العرض ، ولم يُعْنَ فيها ببيان الوجوه الدقيقة واللطائف الرائعة، التي تكمن في تنويع التعابير القرآنية ، ويمكن القول بإجمال هي إلى علم التفسير ودراسة المضامين أقرب منها إلى الدراسات البلاغية القرآنية .

وفضل هذه الرسالة في تقديري أن صاحبها هو أول باحث صدع في بحثه بمصطلح : تصريف القول، ودافع عن استعماله- ورجحه على بقية المصطلحات المستعملة في هذا الشأن».[2]

وقال في موضع آخر : « ثم ذكره وانتصر له وحشد الأدلة على صحته ودقته في التعبير الباحث عبد الله محمد النقراط في رسالة علمية نال بها شهادة الدكتوراه عنوانها "بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم" ولقد أفدت من هذه الرسالة

(1) الكتاب مطبوع في عالم الكتب الحديث، الأردن أربد 2011م .

(2) تصريف القول في القصص القرآني دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى - عليه السلام- ص1،2.

العلمية ، وهي التي حفزني عنوانها أن أتناول جزئية واحدة، وأبين تصريف القول فيها ».[1]

والجدير بالذكر أن كتاب تصريف القول في القصص القرآني رسالة علمية قيمة تستخدم مصطلح التصريف القرآني، وقد انفرد صاحبها بهذه الدراسة في موضوعه، وبخاصة قصة موسى -عليه السلام- التي جعلها أنموذجاً للدراسة وأجاد فيها . وقد تناول في الفصل الأول تصريف القول في الكم : الإيجاز والإطناب والمساواة، وجعل الفصل الثاني لتصريف القول في موقعية الكلمة، وعقد الفصل الثالث لتصريف القول في قوة التركيب ، وأفرد الفصل الرابع لتصريف القول في نوع الجملة ، وخصص الخامس لتصريف القول في الربط، وتحدث في السادس عن تصريف القول بالتناسب، وتكلم في السابع عن تصريف القول بالتكامل .

وقد تناولتُ هذا المصطلح في بحوث متنوعة نشرت في مجلات علمية مختلفة.[2]

وأرشدت الباحث أحمد عبد الرحمن إلى الكتابة في موضوع «تصريف الآيات الكونية في القرآن الكريم ومقاصدها»، وقد نال به درجة الدكتوراه من جامعة طرابلس بليبيا، كما أعدّ الباحث محمد حسين الشريف تحت إشرافي أطروحة دكتوراه بعنوان: « تنوع مصطلح العلم في القرآن الكريم ومقاصده» ، ونال بها درجة الدكتوراه بجامعة طرابلس.

وأما السابقون-الذين ألفوا في المتشابه اللفظي وغيرهم- فقد فضلوا استعمال مصطلح التكرار ظناً منهم أن هذا المصطلح جدير بدفع الشبهات عن القرآن الكريم، و اضطربوا في استعماله ، وأغفلوا التأليف في مصطلح التصريف القرآني الذي هو أولى من مصطلح التكرار دلالة ، وتنزيهاً للقرآن عن المطاعن .

(1) تصريف القول في القصص القرآني ص 26.

(2) منها: التصريف في الدراسات القرآنية والبلاغية، مجلة كلية الدعوة الإسلامية العدد السابع عشر2000، وتصريف أساليب الترغيب والترهيب في القرآن الكريم، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية العدد السابع2001 ، وغيرهما.

إنّ موضوع التصريف القرآني موضوع بكر محتاج إلي دراسات كثيرة في أساليبه، ومقاصده، ودلالاته.

ولذا فإن هذه الدراسة تُعدُّ استكمالاً لدراساتي السابقة، وهو موضوع جديد جدير بالدراسة؛ لبيان دلالات التصريف القرآني ، إلا ما جاء في المسألتين الأولى و الثانية فإنهما من دراساتي السابقة؛ لأن المقام يقتضي بيان تعريف التصريف في اللغة والاصطلاح، و أدلته، وخطأ استعمال مصطلح التكرار في توجيه الآيات .

وأما حدود البحث فهو محدد في بعض دلالات التصريف القرآني - حسب المسائل المبينة في التقسيم ، مستنبطة من توجيه العلماء لبعض الآيات المتشابهة .

وأما منهج البحث ، فقد اعتمدت فيه على منهج تكامليّ يجمع بين: المنهج النقلي، والوصفي التحليلي ، والاستقرائي الناقص، والاستدلالي، والاستنباطي ؛ وذلك لأن هذه المناهج مجتمعة تتآزر في دراسة هذا الموضوع ؛ للوصول إلى النتائج المتوخاة منه .

آتي بالمسألة المستنبطة حسب دلالتها ، ثم أقوم بوصفها وتحليلها ؛ للوصول إلى نتيجة تنفي ما يظن أنه مكرر في القرآن الكريم ، وتثبت أنه تصريف للبيان القرآني من خلال ما تبين لي من فروق دقيقة بين الآيات المتشابهة في المعاني والأساليب؛ لنصل من ذلك إلى الحكم بأن هذا التشابه يختلف في بعض المعاني والأساليب الدقيقة ، ترجع إلى أمور عدة سأبينها عند المقارنة بين الآيات المتشابهة ، اعتماداً على كتب المتشابه اللفظي ، وكتب التفسير، وأستنبط أيضاً منها الرد على الطاعنين في القرآن وبيانه ، والدفاع عنه بما هو مثبت في هوامش البحث ، وفي الثبت الأخير منه .

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة ، وتسع مسائل، وخاتمة ، وثبت بالمصادر والمراجع .

أما المقدمة فقد بينت فيها دوافع الكتابة في هذا الموضوع، وأهميته، وأهدافه، والدراسات السابقة حوله، وحدوده، ومنهجه، ومصادره وتقسيماته.

وأما جسم البحث فقد قسمته إلى تسع مسائل، خصصت المسألة الأولى لدلالة التصريف في اللغة وفي الاصطلاح، وأما المسألة الثانية فقد عقدتها لأدلة التصريف القرآني، وخطأ استعمال مصطلح التكرار في توجيه الآيات، وأفردت المسألة الثالثة لدلالة اختلاف الألفاظ، وجعلت المسألة الرابعة لدلالة اختلاف المحكيات، وتناولت في المسألة الخامسة دلالة التقديم والتأخير، وخصصت المسألة السادسة لدلالة التعريف والتنكير، وتحدث في المسألة السابعة عن دلالة اختلاف اللفظ في الإفراد والجمع ، وتكلمت في المسألة الثامنة عن دلالة اختلاف حرف وخلوه في آية أخرى، وعقدت المسألة التاسعة لدلالة الإظهار والإضمار .

وأما الخاتمة فقد بينت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها في هذا البحث، وذَيَّلْتُ البحث بثبت للمصادر والمراجع مرتبة ترتيبًا معجميًّا .

المسألة الأولى – دلالة التصريف في اللغة وفي الاصطلاح :

أولاً- دلالة التصريف في اللغة:

قال الراغب الأصفهاني : « الصّرف: ردُّ الشيء من حالة إلى حالة أو إبداله بغيره ؛ يقال: صرفْتُه فانصرف ، قال تعالى : ﴿ **ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ** ﴾[2] وقوله :﴿ **ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم** ﴾[3].

والتصريف كالصّرف إلا في التكثير، وأكثر ما يقال في صرف الشيء من حالة إلى حالة ، ومن أمر إلى أمر ، وتصريف الرياح هو صرفها من حال إلى حال ، قال تعالى :

(1) سورة آل عمران من الآية 152.

(2) سورة هود من الآية 8.

(3) سورة التوبة من الآية 127.

﴿ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ ﴾[1] ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ ﴾[2] ، ومنه تصريف الكلام وتصريف الدراهم »[3] .

وقال ابن منظور : « الصَّرْفُ : ردُّ الشيء عن وجهه ... صَرَفَهُ يَصْرِفُه صَرْفاً فانصرف ، وَصَارَفَ نَفْسَهُ عن الشيء: صَرَفَها عنه ... إلخ ﴿ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ ﴾؛ أي: بيّناها ، وتصريف الآيات: تَبْيِينُهَا، والصَّرْفُ: أن تَصْرِفَ إنساناً عن وَجْهٍ يريده إلى مَصْرِفٍ غيرِ ذلك ... ومنه تَصَارِيف الرياح والسحاب ... ؛ أي: صرفها من جهة إلى جهة، وكذلك تصريفُ السيول، والخيول ، والأمور، والآيات، وتصريفُ الرِّياح: جعلها جَنُوباً ،وشمالاً ،وصباً، ودُبوراً ؛ فجعلها ضُرُوباً في أجناسها»[4].

ثانياً - دلالة التصريف في الاصطلاح :

قال الرماني : « التصريف: تصريف المعنى في المعاني المختلفة ،كتصريفه في الدلالات المختلفة ، وهو عقدها به على جهة التعاقب ، فتصريف المعنى في المعاني كتصريف الأصل في الاشتقاق في المعاني المختلفة ، وهو عقدها على جهة المعاقبة، كتصريف الملك في معاني الصفات ، فصرف في معنى مالك ، وملك، ذي الملكوت والمليك، وفي معنى التمليك ، والتمالك ، والإملاك ، والتملك والمملوك ...

وهذا الضرب من التصريف فيه بيان عجيب يظهر فيه المعنى بما يكتنفه من المعاني التي تظهره وتدل عليه.

(1) سورة الأحقاف من الآية 27.

(2) سورة طه من الآية 113.

(3) المفردات في غريب القرآن ص 279-280 ،وينظر: عمدة الحفاظ 1431/2- 1434 مادة (صرف)، وبلاغة تصريف القول في القرآن الكريم 24/1.

(4) لسان العرب (189/9) (مادة : صرف) وينظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم 24/1.

أما تصريف المعنى في الدلالات المختلفة ، فقد جاء في القرآن في غير قصة ، منها قصة موسى -عليه السلام- ذُكرت في سورة الأعراف، وفي طه، والشعراء وغيرها »[1] .

نخلص من التعريفين اللغوي والاصطلاحي إلى أن تصريف الآيات هو تنويعها في المعنى الواحد ، أو الموضوع الواحد، وعرضها بصور شتى وأساليب مختلفة ، والانتقال من معنى إلى آخر ، ومن أسلوب إلى آخر في روعة من البيان والإعجاز؛ وذلك لتقرير أصول العقيدة ، وعرض أدلتها ، وبيان الحجج والدلائل الدالة على الوحدانية ، وإثبات البعث والجزاء ، والنبوة والرسالة، وإيراد القصص والأمثال ، والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والشرائع والأحكام ، والأوامر والنواهي، وما إلى ذلك مما صرف القرآن بيانه.

إن هذه الموضوعات تتنوع في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وفي كل سورة تقريباً ، لكن طرائق عرضها وأساليب تقريرها تبدو في كل موضع جديدة ، وقد يُظَنُ عند النظرة السريعة أن ذلك تكرار قصد به ترسيخ تلك المعاني ، غير عند التدبر والتعمق ، يظهر أنه ليس تكراراً ، ولا ينبغي لنا أن نسميه تكراراً ، وأن الأنسب تسميته بالتصريف اقتداءً بكتاب الله -تعالى- الذي وردت فيه آيات كثيرة تدلنا على هذا المصطلح[2] ، وذلك ما سأبينه في المسألة الآتية .

المسألة الثانية - أدلة التصريف القرآني وخطأ استعمال مصطلح التكرار في توجه الآيات:

نجد بعض العلماء يوجهون الآيات الكريمة المتشابهة بالتكرار تارة، وينفونه عنها تارة أخرى، وذلك راجع في نظري إلى عدم استخدام المصطلح المناسب في توجيه الآيات المتشابهة، ألا وهو مصطلح التصريف القرآني الذي نص عليه منزله -عزّ وجلّ- في كتابه العزيز في غير ما آية فيه ، إذ قال تعالى : ﴿ **ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ**

(1) النكت في إعجاز القرآن 101.

(2) ينظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم 27/1 ، 28.

ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [1]، وقال تعالى : ﴿ **ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾** [2] ،وقال تعالى : ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** [3] ، وقال تعالى : ﴿ **كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ** ﴾ [4] وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا** ﴾ [5] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على التصريف القرآني، وقد تباينت آراء العلماء حول مصطلحي التكرار والترداد، فمنهم من يرى أنهما من الفصاحة والبيان، ومنهم من يرى عكس ذلك، وأنا لا أنكر أن بعض أنواع التكرار والترداد من الفصاحة ، ولكن أرى توجيه الآيات المتشابهة بمصطلح التصريف؛ لأنه أولى دلالة من مصطلح التكرار والترداد؛ ولما فيهما من المساوي التي يراها بعض العلماء الذين تعرضوا لهذين المصطلحين في توجيه الآيات الكريمة ، والتي نلخصها في الآتي :

1- الكراهة - إذ يرى كثير من العلماء أن في التكرار كراهة، كما قال ابن جماعة - عند توجيهه لقوله تعالى: ﴿ **كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۗ** ﴾ [6] - : « إن في ذلك كما قدمنا مرات للتفنن ؛ لكراهة التكرار؛ لما فيه من مجّ النفوس »[7] .

2- القبح - وممن وصفه بذلك ابن النقيب ، فقال: « فهو التكرار العاري عن الفائدة ، وهو لا يخلو إما أن يكون في المعنى وحده ، أو في المعنى واللفظ معاً، أما

(1) سورة الأنعام من الآية 46.
(2) سورة الأنعام من الآية 65.
(3) سورة الأنعام من الآية 105.
(4) سورة الأعراف من الآية 58.
(5) سورة الإسراء الآية 41.
(6) سورة النور من الآية 58.
(7) كشف المعاني ص 273.

الأول فقد أعابه بعضهم مطلقاً ، وبعضهم فصل فأعابه على الناثر وعلى الناظم ، وأما الثاني فقد اتفق على قبحه »[1].

3- عدم الفائدة - كما صرح بذلك الإمام الغزالي حين قال : « إن حد المكرر ما لا ينطوي على مزيد فائدة» [2]، وصرح به أيضاً الطوفي سليمان ، حين قسم التكرار إلى مفيد وغير مفيد[3].

4- الحشو - صرح بذلك الإمام محمد أبو زهرة حين قال : « إن التكرار ليس من الإطناب ، وهو من الحشو»[4].

5- السآمة والملل اللذان يحدثهما التكرار - وقد أشار إلى ذلك الجاحظ حين قص ما حصل بين ابن السماك وجاريته ، عندما سألها عن ترداد كلامه ، فأجابته : ما أحسنه لولا كثرة ترداده ، وحاورها في ذلك حتى قالت له : قد ملَّه من فهمه .[5]

6- القلق والاضطراب - كما صرح بذلك صاحب "خصائص التعبير القرآني" إذ قال: « لأن التكرار - وهو فنٌّ قولي معروف- قد لا يسلم الأسلوب معه من القلق والاضطراب ، فيكون هدفاً للنقد والطعن»[6] .

ولذا فإن مصطلح التصريف القرآني أولى من مصطلح التكرار في توجيه الآيات الكريمة ، اقتداءً بكتاب الله -تبارك وتعالى- الذي يرشدنا إلى مصطلح التصريف؛ ولما وصف به التكرار من المساوي تنزيهاً للقرآن عن المطاعن ؛ ولما رأيناه كذلك من تضارب بين العلماء حول مصطلح التكرار ، حتى الواحد منهم تراه غير مستقر على رأي معين ، فمرة يثبت التكرار ومرة ينفيه.

(1) مقدمة تفسير ابن النقيب ص 113.

(2) جواهر القرآن ص 39 وما بعدها .

(3) ينظر: الاكسير في علم التفسير ص245.

(4) المعجزة الكبرى القرآن ص 313.

(5) البيان والتبيين 104/1.

(6) خصائص التعبير القرآني 322/1

وتأسيساً على ذلك نرى أنه ليس هنالك تكرار في القرآن الكريم ، وإنما هو تصريف للبيان القرآني ، بدليل أن الذي يستقري الكتاب العزيز لا يجد نصاً يشير إلى ذلك ، بمعنى أن الله -عز وجل- لم يقل: كرّرنا الآيات أو رددناها ، وإنما قال تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ ﴾ [1]، وقال تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ [3] .

ومما يؤكد أن دلالة التصريف أولى من دلالة التكرار أن القرآن صرَّح بذكر اللفظ المناسب وبعدم استعمال ما فيه طعن ، إذ قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [4].

وقد فطن إلى هذا الملحظ الدقيق كثير من العلماء منهم الإمام الغزالي الذي نفى التكـــرار عن القرآن الكريم نفياً قاطعاً ، إذ قال : « وقوله ثانياً: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

إشارة إلى الصفة مرة أخرى ، ولا تظن أنه مكرر فلا تكرار في القرآن ؛ إذ حدُّ المكرر ما لا ينطوي على مزيد فائدة...والمقصود أنه لا مكرر في القرآن ، فإن رأيت شيئاً مكرراً من حيث الظاهر فانظر في سوابقه ولواحقه لينكشف لك مزيد الفائدة في إعادته» [5] .

« وقد ناقش في كون ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾بمعنى واحد العلامة الشيخ محمد عبده المصري في بعض مباحثه التفسيرية قائلاً: إن ذلك غفلة نسأل الله أن يسامح صاحبها ، ثم قال: وأنا لا أجيز لمسلم أن يقول في نفسه أو بلسانه: إن في القرآن

(1) سورة الأنعام من الآية 46.
(2) سورة الأنعام من الآية 105.
(3) سورة الإسراء من الآية 41.
(4) سورة البقرة الآية 104.
(5) جواهر القرآن ص 39 وما بعدها.

كلمة جاءت لتأكيد غيرها ، ولا معنى لها في نفسها؛ بل ليس في القرآن حرف جاء لغير معنىً مقصود» .[1]

وقد تصدى لهذا الرأي -يعني التكرار- سابقون في فهم اللغة والدين منهم الشريف الرضي، الذي دفع في كتابه«حقائق التأويل» أن يكون قد وقع في الكتاب تكرار للتوكيد ، ومنهم أبو العباس بن المعتز الذي قال في كتابه « البديع» حين تكلم عن المذهب الكلامي : وهذا باب -أي التكرار- ما علمت أني وجدت منه في القرآن شيئاً، وهو ينسب إلى التكلف ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

أما ما قيل : من أنها معان تكررت في القرآن فإنه أمر أشد صعوبة ، وأبعد خطراً ، فقد تجيء هذه المعاني في نظائر مختلفة الألفاظ ، ومسالك الأداء، فتبلغ في تصريفها ، وتعدد أساليبها حداً معجزاً، قد لا يمر أحد مهما تكشف له من بلاغة القرآن، إلا أن تغيب عنه أسرار من هذه النظائر والأشباه ... وحتى من قالوا بمذهب التكرير في القرآن ، فإنهم لم يبتعدوا عن كونه يقع في مواقع مختلفة تكون مقدمات لمقاصد أو نتائج لمقدمات، ولكنها تختلف مواقعها وأغراضها .[2]

وقد نفاه أيضاً الرازي عند تفسير قوله تعالى : ﴿**كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ**﴾ [3] فقال « أما قوله تعالى : ﴿ **وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ** ﴾ فليس بتكرار ؛لأن تلاوة القرآن عليهم غير تعليمه إياهم، وأما ﴿**ٱلۡحِكۡمَةَ** ﴾ فهي العلم بسائر الشريعة التي يشتمل القرآن على تفصيلها ...

أما قوله : ﴿**وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ**﴾ فهذا تنبيه على أنه-تعالى- أرسله على حين فترة من الرسل))[4] .

(1) تفسير القاسمي 5/2، وتفسير المنار 46/1.

(2) ينظر: حقائق التأويل في متشابه التنزيل ص 82 ، ومن الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ص17.

(3) سورة البقرة الآية 151.

(4) التفسير الكبير 158/4.

وفـــي موضوع آخر قـــال : « السؤال الثاني - لِمَ كرر قوله :﴿**مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾[1] ؟ والجواب:ليس فيه تكرار؛ لأن في الأول أن المسيح يصدق التوراة، وفي الثاني الإنجيل يصدق التوراة»[2] .

وقد نفاه كذلك مصطفى محمود، فأشار إلى التصريف دون أن يصرح به،في كتابه «القرآن كائن حي»[3].

وقد أشار صاحب كتاب «ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين» إلى أن ما يظنه بعضهم تكراراً هو ليس من التكرار، وضرب لذلك مثلاً بسورة الكافرون[4].

تلك هي بعض الأدلة التي تبين أنه لا تكرار ولاترداد في القرآن ، وإنما هو تصريف للبيان القرآني .

ومن ثم فإنه ينبغي لنا أن نستبعد هذا المصطلح عن القرآن الكريم ؛ لأنه لا يليق ببيانه المعجز وسر عظمته .

وخلاصة هذه المسألة أن مصطلح التصريف أولى دلالة في توجيه الآيات الكريمة من مصطلح التكرار ، وأن ما ذهب إليه أولئك لا يعد تكراراً ، فلو تأملنا الآيات المتشابهة والآيات التي يرون أنها مكررة ؛ لتبين اختلاف كبير في بعض مفرداتها ، واختلاف في سوابقها ولواحقها وأسباب نزولها ، وذلك ما سنراه في المسائل الآتية .

بينت في المسألة الثانية أدلة التصريف القرآني ، وخطأ استعمال مصطلح التكرار في توجيه الآيات الكريمة. وفي المسائل الآتية نذكر بعض الأدلة التي تبين دلالة التصريف أولى من دلالة التكرار في توجيه الآيات الكريمة على النحو الآتي :

(1) سورة المائدة الآية 46،48.

(2) التفسير الكبير 10/12.

(3) ينظر: القرآن كائن حي ص4.

(4) ينظر: ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين ص67.

المسألة الثالثة – اختلاف الألفاظ :

إن الذي يتأمل الآيات المتشابهة يجدها تختلف في بعض ألفاظها ، وهذا مما ينفي التكرار عنها ، ويصفها بوصف التصريف ، فقد ذكر ابن الزبير : أن اختلاف معاني العبارة الواحدة لاختلاف المقاصد والمواطن[1].

وقد بين سرّ اختلاف الألفاظ ، الخطيب الإسكافي فقال : « إذا أورد الحكيم - تقدست أسماؤه- آية على لفظة مخصوصة، ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غير فيها لفظة كما كانت عليه في الأولى، فلابُدَّ من حكمة هناك تُطلب ، فإذا أدركتموها فقد ظفرتم ، وإن لم تدركوها، فليس لأنه لا حكمة هناك ؛بل جهلتم»[2].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾[3] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾[4] وقــوله تعالى في سورة الرعد : ﴿ **وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ** ﴾[5] .

أورد الخطيب الإسكافي هذه الآيات ، وتساءل عن الفائدة في إخراج بعضها على لفظ (الذي) ، وإيقاع الأخرى على لفظ (ما) ، وإدخال (من بعد) في قوله تعالى : ﴿ **مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ** ﴾، وأجاب عن ذلك بأن (ما) إذا كانت بمعنى (الذي) فإنها توافقها ، فإنها تبين بصفتها ، وتخالفها بأشياء كثيرة ، فتصير (الذي) متضمنة من البيان ما لا تتضمنه (ما) .

(1) ينظر: ملاك التأويل ،661/2.

(2) ذرة التنزيل ،ص 20 – 21 .

(3) سورة البقرة من الآية 120.

(4) سورة البقرة من الآية 145.

(5) سورة الرعد من الآية 37 .

فمن ذلك أنك تدخل على (الذي) أسماء الإشارة فتكون (الذي) صفة لها ، كقوله تعالى : ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ ﴾ [1]، وقوله تعالى : ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ﴾ [2] ، فيكتنف (الذي) بيانان: أحدهما الإشارة قبلها ، والآخر الصلة بعدها ، ولا يكون ذلك في (ما) ؛ لأنها لا يوصف بها كما يوصف بالذي ، والثاني : إن ما ذكر في حيز (ما) كان صلة لها صفة ، تنبيها وليس ذلك في (الذي) .

والثالث : إن (الذي) تثنى وتجمع وتؤنث ، فيلحقها هذه العلامات بياناً لهذه المعاني، و(ما) لا يلحقها ذلك بل هي لفظة واحدة في التثنية، والجمع، والتأنيث .

والرابع : إن (الذي) قد لزمها أمارة التعريف، وهي الألف واللام، وليس ذلك ولا شيء مما ذكر في (ما) [3].

وعلل الكرماني أن العلم في الآية الأولى علم بالكمال ليس وراءه علم؛ لأن معناه : بعد الذي جاءك من العلم بالله وصفاته، وبأن الهدى هدى الله، ومعناه: أن دين الله الإسلام ، وأن القرآن كلام الله ؛ فكان لفظ (الذي) أليق به من لفظ (ما)؛ لأنه في التعريف أبلغ ، وفي الوصف أقعد ؛ لأن (الذي) تعرّفه صلته فلا ينكر قط ، ويتقدم أسماء الإشارة ، وليس لـــ(ما) شيء من ذلك ؛ لأنه يتنكر مرة ويتعرف أخرى ، ولا يقع وصفاً لأسماء الإشارة ، ولا يدخله الألف واللام ، ولا يثنى، ولا يجمع .

وخص الثاني بـــ(ما) ؛ لأن المعنى : من بعد ما جاءك من العلم بأن قبلة الله هي الكعبة ، وذلك قليل من كثير من العلم ، وزيد معه (من) التي لابتداء الغاية؛ لأن تقديره : من الوقت الذي جاءك العلم فيه بالقبلة ؛ لأن القبلة الأولى نسخت بهذه الآية، وليس الأول موقتا بوقت .

(1) سورة الملك من الآية 20.

(2) سورة الملك من الآية 21.

(3) ينظر: درة التنزيل ، ص25-26 .

وعبر في سورة الرعد بلفظ (ما) ولم يزد (من) ؛ لأن العلم ههنا هو الحكم العربي ؛ أي: القرآن، وكان بعضًا من الأول ، ولم يزد فيه (من) ؛ لأنه غير موقت[1].

ومن ذلك أيضاً ما نجده من تنويع بين لفظ (أرسل) في قوله تعالى : ﴿**قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ**﴾[2] . ولفظ (ابْعَثْ) في قوله تعالى : ﴿**قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ**﴾[3].

الجواب أن يقال: اللفظتان نظيرتان تستعمل إحداهما مكان الأخرى ، وقد جاء بعث الرسول وأرسله معا ، إلا أن أرسل يختصّ بمالا يختص به بعث ؛ لأن البعث لا يتضمن ترتيباً ، والإرسال أصله تنفيذ من فوق إلى أسفل ، وأرسل في سورة الأعراف حكاية قول العامة للملأ المؤدين كلام فرعون إليهم ، فلما تعالى عليهم، ولم يخاطبهم بنفسه؛ كان قولهم في جواب ما استأمرهم فيه واستشارهم في فعله على الترتيب الذي رتب لهم في الخطاب ، فكانت الحكاية باللّفظ الذي يفخم كما فخم تحميله ملأه أن يؤدوا كلامه إلى من دونهم، ولما تناولت الحكاية في سورة الشعراء ما تولاه فرعون بنفسه من مخاطبة قومه بإسقاط الحجاب بينهم وبينه، وتسوية قدرهم بقدره، لقوله تعالى : ﴿**قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ**﴾[4] كان هذا الموضع مخالفاً للموضع الأول في مقتضى الحال من التفخيم ، فخص باللفظ الذي ليس فيه ما في الأول من التعظيم ، وهو قوله: ﴿**أَبۡعَثُ**﴾[5].

المسألة الرابعة - اختلاف المحكيات :

إنّ في اختلاف المحكيات دليلاً على نفي التكرار وإثبات التصريف ،كما في قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ**

(1) البرهان في متشابه القرآن ، ص129-130.

(2) سورة الأعراف الآية 111 .

(3) سورة الشعراء الآية 36 .

(4) سورة الشعراء من الآية 34.

(5) درة التنزيل ، ص 170 – 171.

خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [1] ، وقوله تعالى في سورة الحجر : ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [2] .

قال الإسكافي : « للسائل أن يسأل فيقول : إذا كان هذا في قصة واحدة ووقع في كلام الله حكاية عما قال إبليس، وعما قيل له عندما كان يظهر من عصيانه، فلماذا اختلفت الحكايتان والمحكي شيء واحد ؟ والجواب ما قلته فيما قبله، وأقوله فيما بعده من أن اقتصاص ما مضى إذا لم يقصد به أداء الألفاظ بأعيانها، وإنما المقصود ذكر المعاني ، فإن الألفاظ إذا اختلفت وأفادت المعنى المقصود كان اختلافها واتفاقها سواء » [3].

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ ﴾ [4] وقوله تعالى في سورة النمل: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ ﴾ [5] وقال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [6].

والسر في تنويع هذه الحكايات قد بينه الإسكافي بقوله : « والجواب عن ذلك: أن هؤلاء لما كرر عليهم لوط – عليه السلام – الإنكار ، وأعادوا إليهم الإعذار والإنذار ، قال في موقفٍ ما حكاه الله –تعالى- ؛ فكان جوابهم له في ذلك الموقف ما

(1) سورة الأعرف الآيتان 12-13.

(2) سورة الحجر الآيات 32-33.

(3) درة التنزيل ، ص 141 – 142.

(4) سورة الأعراف الآيتان 82-83.

(5) سورة النمل الآيتان 56-57.

(6) سورة العنكبوت الآية 29 .

ذكره الله – تعالى – ،والجواب الثاني وإن خالف الجواب الأول ، فهو من جهتهم،وإذا خالفوا بين الأجوبة تناولت الحكاية مختلفها، على أنه: لو كان كل ذلك في موقف واحد ، لكان جائزاً أن يكون جواب طائفةٍ منهم ما ذكر أولاً ، وجواب طائفة أخرى ما ذكـر ثانياً ، وكل من الطائفتين قومه . فإذا قيل: (ما كان جواب قومه)؛ أي: بعض قومه ؛ فإذا كان قاله بعض ، ورضي به الآخرون ؛ فكلهم قائلون، أو في حكم القائلين. فلا يقدح ما جاء من اختلاف أجوبتهم في الآيات التي نزلت في هذه القصة ، على ما يظنه المعترض، وإنما يتعلق بمثله من جهل للأنبياء – عليهم السلام – مواقفها، ولم يعرف اللغات ومصارفها »[1].

المسألة الخامسة – التقديم والتأخير :

تتنوع الآيات الكريمة بالتقديم تارة، وبالتأخير تارة أخرى ، تبعاً لمقاصدها وأسبابها ؛ إذ لا يتقدم لفظ أو يتأخر في آية من الآيات إلا لموجب يقتضيه، ولداع من المعنى يطلبه ويستدعيه ؛ الأمر الذي ينفي التكرار عنها ، كما في قـوله تعالى : ﴿**وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ**﴾[2]، وقوله تعالى : ﴿**وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ**﴾[3].

قَدَّم الله – سبحانه وتعالى – الشفاعة في الآية الأولى وَأَخَّر العدل ، وقَدَّم العدل في الآية الثانية وأَخَّر الشفاعة؛ لأسرار ذكرها الكرماني إذ قال : «إنما قدم الشفاعة قطعاً لطمع من زعم أن آباءهم تشفع لهم، وأن الأصنام شفعاؤهم عند الله، وأَخَّرها في الآية الأخرى ؛ لأن التقدير في الآيتين معاً : لا تقبل منها شفاعة فتنفعها

(1) درة التنزيل ، ص 164.

(2) سورة البقرة الآية 48.

(3) سورة البقرة الآية 123.

تلك الشفاعة ؛ لأن النفع بعد القبول ، وقدم العدل في الآية الأخرى؛ ليكون لفظ القبول مقدماً فيها »[1].

وقال أبو حيان : « جاءت هذه الجُمَلُ هنا مُقَدَّماً فيها الشَّفاعةُ ، وجاءتْ الفديةُ مُقدَّمة على الشفاعةِ في جملة أخرى ؛ ليَدُلَّ ذلك على اختلافِ الأمرين، وبُدِئَ هنا بالشفاعة ؛ لأن ذلك أليقُ بعلوّ النفس ، وجَاءَ هنا بِلَفْظِ القبولِ وهناك بلفظِ النفع، إشارة إلى انتفاء أصلِ الشيءِ وانتفاء ما يترتب عليه، وبُدِئَ هنا بالقَبُولِ ؛ لأنه أصلٌ للشيء المُتَرَتِّبِ عليه، فأعطى المُتَقَدِّم ذِكْرَ المُتَقَدَّمِ وُجُوداً، وأَخَّر هناك النفعَ إعطاءً للمُتَأخِّر ذِكْرَ المُتَأخِّر وُجُوداً»[2].

وقال تعـــالى : ﴿**وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ**﴾[3]،وقال تعـــالى أيضًا : ﴿**وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيَّٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ**﴾[4].

بالتأمل في الآيتين الكريمتين نجد أن البيان القرآني تصرّف بتقديم لفظ : ﴿**حِطَّةٌ**﴾ في سورة الأعراف وتأخيره في سورة البقرة؛ لأسرار معنوية اقتضاها هذا التقديم والتأخير في الآيتين، ذكرها الخطيب الإسكافي، فقال : «والجواب عن ذلك مما يحتاج إليه في مواضع من القرآن في هذه الآية التي قصدنا الفرق بين مختلفاتها ، وهو أن ما أخبر الله - تعالى - به من قصة موسى -عليه السلام- وبني إسرائيل وسائر الأنبياء -صلوات الله عليهم وسلامه، وما حكاه من قوله -عز وجل- لهم، لم

(1) البرهان في متشابه القرآن، ص 121.

(2) تفسير البحر المحيط ،350/1.

(3) سورة البقرة الآيتان 58 – 59.

(4) سورة الأعراف الآيتان 161-162.

يقصد إلى حكاية الألفاظ بأعيانها ، وإنما قصد إلى اقتصاص معانيها ، وكيف لا يكون كذلك، واللغة التي خوطبوا بها غير العربية ، فإذاً حكاية الألفاظ زائلة، وتبقى حكاية المعنى، ومن قَصَدَ حكاية المعنى كان مخيّراً بأن يؤديه بأي لفظ أراد ، وكيف شاء من تقديم وتأخير بحرف لا يدل على ترتيب كالواو»[1].

«إن الألفاظ القرآنية تتصرف وفق بناء محكم ، بالتقديم تارة، وبالتأخير أخرى؛ إذ إنه لا يتقدم لفظ أو يتأخر إلا لموجب يقتضيه المقام، أو لمناسبة يكون اللفظ فيها أنسب من غيره، وكذلك لاختلاف المقاصد، فيكون اللفظ الأليق في مكانه، والأدل على معناه؛ ليؤدي أسراره المعنوية التي يقتضيها السياق في دقة وإحكام»[2].

المسألة السادسة - التعريف والتنكير :

يرد اللفظ في الآية معرفاً أحياناً ومُنَكّراً أحياناً أخرى ؛ ليؤدي كل منهما في موضعه معاني جليلة لايؤديها الآخر ، وهو الأمر الذي ينفي التكرار عن الآيات المتشابهة ، ويطبعها بطابع التنويع. قال السيوطي : « اعلم أن لكل منهما مكانًا لا يليق بالآخر» [3] ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ **فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾[4]. وقوله تعالى : ﴿ **فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[5]؛ ففي الآية الأولى جاء اللفظ معرفاً بأل ، وهو قوله تعالى : ﴿ **بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ** ﴾ وجاء في الآية الأخرى منكراً، فقال تعالى : ﴿**مَّعْرُوفٍ ۗ** ﴾ ليلائم كل منهما مقصده في الآية التي جاء فيها، وفي ذلك دليل على التصريف ونفي التكرار عن هذه الآيات وغيرها .

(1) درة التنزيل ،ص 16-17.

(2) بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، 203/1.

(3) معترك الأقران في إعجاز القرآن ، 472/3.

(4) سورة البقرة من الآية 234 .

(5) سورة البقرة الآية 240.

قال الخطيب الإسكافي معللاً سبب ذلك : «إن الأول تعلَّق بقوله : ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ﴾ [1]؛ أي: لا جناح عليكم في أن يفعلن في أنفسهن بأمر الله ، وهو ما أباحه لهن من التزوج بعد انقضاء العدة ، فالمعروف ههنا أمر الله المشهور، وهو فعله وشرعه الذي شرعه، وبعث عليه عباده، والثاني المراد به: فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من جملة الأفعال التي لهن أن يفعلن من تزوج أو قعود ، فالمعروف ههنا فعل من أفعالهن يعرف في الدين جوازه ، وهو بعض ما لهن أن يفعلنه، ولهذا المعنى خص بلفظة من ونكر، فجاء في الأول معرَّفَ اللفظ لما أشرت إليه، وهو أن يفعلن في أنفسهن بالوجه المعروف المشهور الذي أباح الشرع من ذلك، وهو الوجه الذي دل عليه وأبانه، فعرف إذ كان معرفة مقصوداً نحوه ، وكذلك خص بالباء، وهي للإلصاق، والثاني كان وجهاً من الوجوه التي لهن أن يأتينه فأخرج مخرج النكرة لذلك» [2] .

المسألة السابعة – اختلاف معنى اللفظ في الإفراد والتثنية والجمع :

يرد اللفظ مفرداً أحياناً، وجمعاً أحياناً أخرى؛ ليؤدي مقاصده في دقة وإحكام، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [3].

الآيتان الأولى والثالثة متشابهتان في دلالاتهما اللفظية والمعنوية ، بيد أن هناك فرقاً في تصريف اللفظ بصيغة الجمع في الآية الأولى: ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ وبصيغة المفرد في الآية الثانية : ﴿لَءَايَةً﴾ والسر في تصريف اللفظ في الآيتين قد بينه الخطيب الإسكافي بقوله: « إشارة إلى ما قص من حديث لوط وضيف إبراهيم، وتعرُّض قوم لوط لهم

(1) سورة البقرة من الآية 234.

(2) درة التنزيل ، ص52-53.

(3) سورة الحجر الآيات 75-77.

طمعاً فيهم، وما كان من أمرهم آخرًا من إهلاك الكفار، وقَلْبِ المدينة على من فيها، وإمطار الحجارة على من غاب عنها، وهذه أشياء كثيرة في كل واحد منها آية، وفي جميعها آيات لمن يتوسم؛ أي: لمن يتدبر السمة، وهي ما وسم الله - تعالى - به العاصين من عباده؛ ليستدلوا بها على حال من عند عبادته فتجنبها ، وكان ذكر الآيات ههنا أولى وأشبه بالمعنى . وأما قوله تعالى :﴿**وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾؛ أي: تلك المدينة المقلوبة ثابتة الآثار، مقيمة للنظار، فكأنها بمرأى العيون لبقاء آثارها ، وهذه واحدة من تلك الآيات ؛ فلذلك جاء عقبها: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾» [1].

ويرد اللفظ الواحد جمعاً في سورة، ومثنى في سورة ثانية، ومفرداً في سورة ثالثة، تبعاً للمقاصد والسياق الوارد فيه، كما في قوله تعالى : ﴿**رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ**﴾ [2] وقوله في سورة المعارج: ﴿**فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ** ﴾ [3]، وقوله في سورة المزمل : ﴿**رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا**﴾ [4]فما وجه التصريف في الأولى بالتثنية وفي الثانية بالجمع ، وفي الثالثة بالإفراد؟

ولنترك الإجابة للسيوطي ، إذ يقول : « فحيث أُفردا فاعتباراً للجهة ، وحيث ثُنيّا فاعتباراً لمشرق الصيف والشتاء ومغربهما، وحيث جُمِعَا فاعتباراً لتعدد المطالع في كل فصل من فصول السنة ، وأمـــا وجه اختصاص كلّ موضع بما وقع فيه: ففي سورة الرحمن ورد بالتثنية؛ لأن سياق السورة سياق المزدوجين، فإنه-سبحانه- ذكر أولاً نَوْعَي الإيجاد، وهما: الخلق ، والتعليم. ثم ذكر سراجي العالم: الشمس ، والقمر.

(1) درة التنزيل ، ص252-253.

(2) سورة الرحمن الآية 17.

(3) سورة المعارج الآية 40 .

(4) سورة المزمل الآية 9.

ثم نَوْعَي النبات: ما كان على ساق ، وما لا ساق له ، وهما النّجم والشّجر. ثم نَوْعَي السماء والأرض. ثم نَوْعَي العدل والظلم . ثم نَوْعَي الخارج من الأرض ، وهما: الحبوب ، والرياحين. ثم نَوْعَي المكلفين، وهما : الإنس، والجان ، ثم نوعي البحر: الملح، والعذب ؛ فلهذا حَسُن تثنية المشرق والمغرب في هذه السورة »[1].

وذكر صاحب كتاب « سورة الرحمن وسور قصار» أن المراد مطلع كل يوم ومغربه؛ ولذلك جاءت الصيغة بالجمع، وقيل: المراد بهما في الآية مشرقا الشمس صيفاً وشتاء ومغرباها، وكان المراد بالتثنية مطلعها في أطول يوم من السنة وفي أقصر يوم، وكذلك المغربان، ويتناول الطرفان كل ما بينهما، وقيل المشرقان : مشرق الفجر، ومشرق الشفق.والمغربان: مغرب الشمس ، ومغرب الشفق. وقيل: بل المشرقان: مطلع الفجر ، ومطلع الشمس. وقيل : المراد مشرق الشمس، ومشرق القمر ، ومغرباهما. ولعل هذا القول أولى الأقوال بالترجيح؛ لاتصاله بالآية السابقة في السورة، وهو قوله تعالى : ﴿**ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ**﴾ [2]؛ ولأن دلالة التثنية حينئذ واضحة، والمراد: ربُّ مشرقي الشمس والقمر ومغربيهما، وما بينهما من الموجودات قاطبة، فهو رب الوجود كله، القائم عليه وعلى نظامه، وما يجري فيه من الليل والنهار ، وطلوع الشمس والقمر وغروبهما.[3]

ويرى الأستاذ أبو زيد : أن ذلك يرجع إلى وجه لطيف من أوجه التناسب، وصلته بروح السورة وموضوعها[4].

وينبغي أن نذكر في هذا المقام ، ما ذكره عن أوجه اختصاص آية المزمل والمعارج، اللتين لم يبينهما السيوطي، حين اكتفى ببيان وجه اختصاص ما وقع في سورة

(1) معترك الأقران ، 482/3 .

(2) سورة الرحمن الآية 5.

(3) ينظر: سورة الرحمن وسور قصار لشوقي ضيف ،ص67-68.

(4) ينظر: التناسب البياني في القرآن، ص 181.

الرحمن، ولم يلتزم ببيان أوجه اختصاص المواضع الأُخَر، مع أنه ذكر أنه سيفصل أوجه اختصاص هذه المواضع.

فالأستاذ أبو زيد يقول : « أما ورود لفظي المشرق والمغرب بصيغة الإفراد في سورة المزمل؛ فلأن هذه الصيغة هي التي تناسب السياق، وبيان ذلك أن الله -تعالى- أمر رسوله -ﷺ- في مطلع السورة بقيام الليل، ثم أخبر أن له في النهار سَبْحاً طويلاً ، فلما تقدم ذكر الليل والنهار، عقب ذلك بذكر المشرق والمغرب اللذين هما مظهرا الليل والنهار، فكان الإفراد في هذا السياق أنسب من التثنية والجمع.

وأما مجيئها بصيغتي الجمع في سورة المعارج؛ فلأنهما وردا في سياق بيان سعة ربوبية الله -تعالى- وإحاطة قدرته، وذكر المشارق والمغارب لتضمنهما انتقال الشمس التي هي إحدى آياته -سبحانه- العظيمة، ونقله - تعالى- لها، وتصريفها كل يوم في مشرق ومغرب مظهر من مظاهر القدرة المطلقة وسعة الربوبية»[1].

المسألة الثامنة - زيادة حرف وخلوه في آية أخرى:

إن لكل حرف في الآية دلالته التي يؤديها، ومعنى ذلك أن زيادة حرف في الآية يعطي دلالة خاصة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ**﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ**﴾[3].

الآيتان الكريمتان متشابهتان في ألفاظهما ومعانيهما، بيد أن مما يفرق بينهما، وينفي التكرار عنهما، هو: إدخال الواو في قوله تعالى : ﴿ **وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ**﴾ في سورة إبراهيم ، وحذفها منه في سورة البقرة.

(1) التناسب البياني في القرآن ، ص181 - 182 .

(2) سورة البقرة الآية 49 .

(3) سورة إبراهيم الآية 6.

ذكر الخطيب الإسكافي، أنه إذا جعل ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بدلاً من قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ لم يحتج إلى الواو ، وإذا جعل ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ عبارة عن ضروب من المكروه، هي غير ذبح الأبناء، لم يكن الثاني إلا بالواو، وفي الموضعين يحتمل الوجهين إلا أن الفائدة التي يجوز أن تكون خصصت لها الآية في سورة إبراهيم بالعطف بالواو ، وهي أنها وقعت هنا في خبر قد ضمن خبراً متعلقاً به؛ لأنه قال قبله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [1] ، ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [2] ، فضمن إخباره عن إرسال موسى بآياته، إخباره عن تنبيه قومه على نعمة الله ودعائهم إلى شكرها، فكان قوله: ﴿وَيُذَبِّحُونَ ﴾في هذه السورة في قصة مضمنة، قصة يتعلق بها هي قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾، والقصة المعطوفة على مثلها تقوي معنى العطف فيها، فنجتاز فيما كان يجوز فيه العطف على سبيل الإيثار لا على سبيل الجواز، وليس كذلك موقع ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ في الآية التي في سورة البقرة؛ لأنه -تعالى- أخبر عن نفسه بإنجائه بني إسرائيل ، وهناك أخبر عن موسى -عليه السلام- أنه قال لقومه كذا ، بعد أن أخبر عنه أنه أرسله إليهم بآياته، فافترق الموضعان من هذا الوجه [3].

المسألة التاسعة - الإظهار والإضمار:

إن مما يفرق بين الآيات المتشابهة، وينفي التكرار عنها، الإظهار والإضمار، كما في قوله تعالى : ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [4]، وقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ

(1) سورة إبراهيم الآيتان 5.

(2) سورة إبراهيم من الآية 6 .

(3)درة التنزيل ، ص 13-14 .

(4) سورة آل عمران الآية 11 .

فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [1] ، وبعدها بآية قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَۚ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَـٰلِمِينَ ﴾ [2] .

تساءل الإسكافي عن قوله تعالى : ﴿ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ والعدول بعده عن الإخبار عن النفس بالاسم المضمر إلى الاسم المظهر، وهو قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۚ﴾ ولم يقل فأخذناهم، وهل ههنا فائدة توجب العدول عن إجراء الكلام الثاني مجرى الكلام الأول في إسناد الفعل إلى ما أسند إليه فيما قبل؟[3].

ثم أجاب عن ذلك : أن قوله تعالى: ﴿ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ وقع الإخبار عن النفس كما يجب في مثله إذا أخبر المتكلم عن نفسه بفعل فعله، فأتى بلفظ المضمر دون المظهر، ثم خالف ذلك اللفظ إلى غيره فقال تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ والجواب عن هذا أن يقال : العدول عن المنهج الأول المستمر في الإخبار عن النفس إلى لفظ ظاهر هو لفائدة تضمنتها هذه اللفظة من الاحتجاج، وليست هذه الفائدة في لفظة الإضمار، وكانت الآية التي قبلها قد وقع العدول في هذا المكان إليه، وهو قوله تعالى : ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [4]، فكان المعنى: إنك خلقتَ الدار الأولى للتكليف، ومكَّنت العباد فيها من الطاعة والعصيان، ورغَّبت المطيع في الثواب، وخوَّفت العاصي من العقاب، فوقع منك وعد ووعيد، فرغبت من الوفاء بهما بأنك تجمع الخلائق ليوم الجزاء؛ لأن من خلق وأنعم نعمة حقت بها العبادة، ولزمت من أجلها الطاعة ، وهو معنى قولنا إن الله إذا وعد صدق، فلا خلف في قوله، ولا تبديل لكلماته. فلما كان معنى قولنا الله معنى الإله ،

(1) سورة الأنفال الآية 52 .

(2) سورة الأنفال الآية 54.

(3) درة التنزيل ، ص59 .

(4) سورة آل عمران الآية 9 .

والإله مشتق من أله يأله إلاهة؛ أي: عبد يعبد عبادة ، فالإله هو الذي حقت عبادته، لما عظمت نعمته، كان العدول إلى هذه اللفظة للاحتجاج بمعناها فائدة لم تكن لتحصل لو قال: إنك لا تخلف الميعاد. فلما تقدمت هذه الآية التي وقع العدول فيها عن لفظ إلى لفظ لما قصد من الاحتجاج بمعناه، فكذلك بنيت هذه الآية التي تليها عليها في مثل هذا الحكم لما ثبت من مثل هذا المعنى، فقال تعالى : ﴿ **كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا**﴾ [1] أي إنا عرضناهم للإيمان ، ومكنَّاهم من الإسلام ، وأزحنا العلة، ونصبنا الأدلة ، فكذبوا بها، فالذي حقت له العبادة، وعظمت منه النعمة أخذهم بذنوبهم، والله يعاقب الكفار عقوبة تشتد عليهم ولا تخفف عنهم؛ لما قدموا من العصيان ما استمر مثله ولم ينقل عنه قدم ، ولا عقبه بعد الإصرار عليه ندم، فهذه فائدة العدول إلى لفظة الله في قوله تعالى :﴿ **فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ** ﴾ دون قوله تعالى : ﴿**فَأَخَذْنَٰهُم**﴾ [2].

نكتفي بهذا القدر من إيراد الأدلة التي تفرق بين الآيات المتشابهة ، وتنفي صفة التكرار عنها، ونخلص منها إلى أن الآيات المتشابهة وغيرها تتصرف لتحقيق مقاصد متنوعة، وقد ترد كثيراً في مواضع متعددة من القرآن الكريم، لكن طرائق عرضها وأساليب تقريرها تبدو جديدة في كل موضع ، وقد يُظَنُّ عند النظرة السريعة أن ذلك تكرار قصد به ترسيخ تلك المعاني، لكن عند التدبر والتعمق يظهر أنه ليس تكراراً ، ولا ينبغي أن يسمى تكراراً، وأن من الأنسب تسميته بالتصريف ؛ لأنه مصطلح قرآني ذكره الله - تعالى - في كتابه العزيز .

والحمد لله رب العالمين - وصلى الله وسلم على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين

==========

(1) سورة آل عمران من الآية 11.

(2) درة التنزيل ، ص60-61 .

مصادر البحث ومراجعه

1. القرآن الكريم ، مصحف المدينة النبوية ، برواية الإمام حفص عن عاصم الكوفي ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة .
2. الإكسير في علم التفسير للعالم الطوفي سليمان ، تحقيق : عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب لصاحبها علي حسين، القاهرة، د ت .
3. البرهان في متشابه القرآن ، للإمام محمود بن حمزة الكرماني، قدم له وراجعه أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، ط الأولى 1411 هـ .
4. بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم للدكتور: عبدالله محمد النقراط، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق ، الطبعة الأولى 1423هـ/2002م .
5. البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، د ت .
6. تصريف القول في القصص القرآني ، دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى - عليه السلام- للأستاذ الدكتور امحمد محمد صافي المستغانمي ، عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن، ط الأولى 2011م.
7. تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى، 1413هـ/ 1993م.
8. تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، النشرة الثانية، الدار التونسية للنشر 1973م
9. تفسير فخر الدين الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط الأولى، 1401هـ/1981م .
10. تفسير القاسمي : المسمى محاسن التأويل، تأليف محمد جمال الدين القاسمي، طبع وتصحيح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، وشركاه،ط الأولى 1376هـ/1957م .
11. تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار، للإمام محمد رشيد رضا، دار الفكر، بيروت، ط الثانية، د ت

12. التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، تأليف: أحمد أبو زيد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1992م .
13. جواهر القرآن ، لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، مكتبة الجندي بمصر، د ت .
14. حقائق التأويل في متشابه التنزيل، تأليف الشريف الرضى، شرح العلامة محمد الرضا آل كاشف الغطاء، دار الأضواء، بيروت، ط الأولى1406هـ/1986م.
15. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد المنعم إبراهيم محمد المعطي، مكتبة وهبة ، القاهرة، ط الأولى 1413هـ/1992م .
16. درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، للخطيب الإسكافي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط الثالثة 1979م .
17. سورة الرحمن وسور قصار ، تأليف الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة ، الطبعة الثانية، دت .
18. ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين، البدراوي زهران، دار المعارف القاهرة، ط الثانية، 1993م.
19. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للحلبي المعروف بالسمين، تحقيق عبد السلام التونجي الحلبي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا، ط الأولى 1995م.
20. القرآن كائن حي، مصطفى محمود، دار المعارف القاهرة، ط الثانية، د ت .
21. كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تأليف بدر الدين بن جماعة ، تحقيق وتعليق عبد الجواد خلف، منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي باكستان، ط الأولى، 1410هـ/ 1990م.
22. لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين بن منظور، دار الفكر ودار صادر بيروت ، د ت .
23. معترك الأقران في إعجاز القرآن، لأبي الفضل جلال الدين السيوطي، ضبط وتصحيح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى 1408هـ/1988م.
24. المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، 1390هـ/1970م.
25. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت، دت.

26. مقدمة تفسير ابن النقيب المصري، إشراف لجنة تحقيق التراث ، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1989م وقد نسب خطأ لابن قيم الجوزية، بعنوان: (الفوائد المشوق إلى علوم القرآن).
27. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية ، بيروت، 1405هـ/1985م.
28. من الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، تأليف عبد العزيز سيد الأهل، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة، 1400هـ/1980م .
29. النكت في إعجاز القرآن، للرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق وتعليق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف القاهرة، دت.